

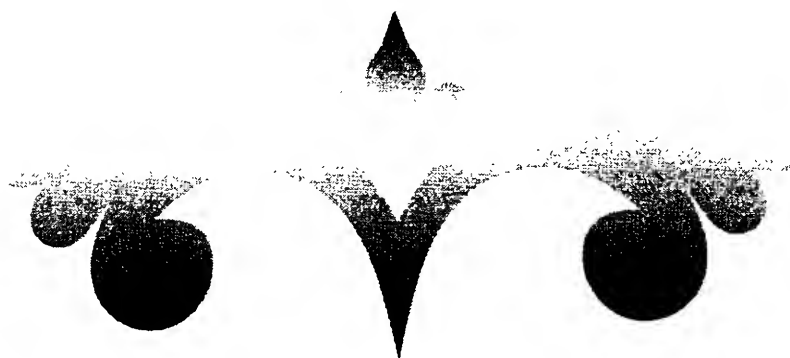


المحور السادس

دور الأزهر وجهود أعلامه في

تأصيل وتطوير الدراسات

التاريخية





# الأزهر والرد على المستشرقين (جاك بيرك نموذجاً)

إعداد

د. مصطفى عبد الغنى



يظل دور الازهر واعلامه من اهم العوامل الايجابية فى رصد  
موقف المستشرقين ومناهجهم

وهو ما تتمهل عنده هنا حين نرصد تتمهل عند الجانب الخاص بوعى  
جاك بيرك لا الوعى المتطور عبر المحاولات الاستشراقية فى المعرفة  
وحسب ، وانما قبل هذا وبعده ، عبر درجات هذه المعرفة ودلالاتها فى  
السياق المعرفى..

وهو ما يتأكد لدينا حين نعود الى دور الازهر فى الرد على من  
حاولوا ترجمة معانى القرآن الكريم خاصة والتهميل عند اهم  
المستشرقين فى ترجمة معانى القرآن الكريم بشكل اخص

وبسؤال اكثر مباشرة سعينا الى التأكيد على "تأثير" الاستشراق فى  
تأكيد خطاب صاحبه فى الغرب ، وبالتبعية كون جاك بيرك الذى بدا  
متأثرا بخلفيته الحضارية الغربية حسب بعض هذه المعارك العنيفة التى  
لاتخلو من مغزى ، وهو ما حاولنا ان نجيب عن هذا السؤال:

كيف اثرت حالة غياب المعرفة لدى الاستشراق فى الفترة  
الاخيرة ؟

وبدهى ان الاجابة هنا لن تتمهل عند جاك بيرك الا لكونه مثالا او  
نموذجا اكثر دلالة واكثر قربا تاريخيا فى هذه المحاولة ، فما فعله جاك  
بيرك يظل ترجمة لما حاوله اضرايه منذ قرون فى التعامل مع النص  
القرآنى- سافارى ومونتبيه وبلاشير.. وغيرهم وصولا الى تجليات  
الاستشراق فى الحقبة الاخيرة

وقد تنبه الى ذلك العديد ممن تناولوا محاولة جاك بيرك فى  
حالتين :

- الغياب او قصور المعرفة

- الحضور او غرور المعرفة

وسوف نتمهل هنا عند الحالة الاولى، غياب المعرفة ؛ مع ملاحظة امر هام ، هو تداخل الحالتين: الحضور والغياب بشكل يصعب التفريق بينهما .

فعلى الرغم من ان كثيرين تنبهوا لهذه الترجمة ، فان اكثرهم وعيا وموضوعية هذه الترجمة التى قامت بها لجنة مجمع البحوث الاسلامية بالقاهرة (١) فضلا عن دراسات واعية فى هذا الصدد..وهنا لابد وان نشدد على هذا التقرير الذى صدر عن الازهر حيث خرجت اللجنة الواعية بانطباع عام هو: أن جاك بيرك جاهل باللغة العربية ، مغرض متعمد الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، وأنه يفتقد الأمانة العلمية والأدب الأخلاقي الذي يجب التحلي به عند تناول نص القرآن الكريم بالبحـث والدراسة.

وقد خرجت اللجنة بانطباعها هذا بناء على الملاحظات الدالة والتي اوردتها اللجنة هنا منها كما ورد بخط يد اعضاء اللجنة بالفعل:

- جهله باللغة العربية : وذلك لعدم إدراكه إمكانياتها المتفردة ، ولقراءاته الخاطئة ففي التشكيل والنحو.

- عدم فهم النص القرآني: بناء على جهله باللغة العربية وقواعدها

في النحو والقراءة الصحيحة، فهو يسيء تفسير السور وأسمائها.

- عدم الأمانة: وذلك بتشويه النقل عن المفسرين القدامي

كالزمخشري ري.

- ترجمته محرفة: فهو يستخدم كلمات وألفاظا لا تعبر عن المعنى

المقصود كاستخدام كلمة (قطع) للتعبير عن السور.

- القرآن شعر قديم: يؤكد بيرك أن القرآن عبارة عن نوع من الشعر الحديث الذي لم تعرفه اللغة العربية إلا منذ جيل فقط.

وقد لاحظ الكثير من الباحثين في هذا الصدد "أن فحص ترجمة معاني القرآن الكريم التي قام بها جاك بيرك لم يكن ليتم بمعزل عن دراسة عامة للمقدمة التي ألحقها بعمله ، لأنها من جهة - تعبير جلي عن كثير من معالم تفكير الرجل وموقفه تجاه القرآن الكريم. كما أنها تبرز - من جهة ثانية - للقارئ منهج المترجم في التعامل مع الألفاظ والمصطلحات القرآنية ذات الحمولة الدينية والعقدية المفعمة بالحساسية بالنسبة للمترجم غير المسلم ما أبرز المحاور الأساسية والنقاط التي تعرض لها جاك بيرك في مقدمته "

والمتمعن ملياً فيما تكاد تخفيه عبارات بيرك المتحذقة والمعقدة من إشارات وتلميحات غير بريئة يتبين له بجلاء نهجه أسلوب التشكيك في الوثوق بالقرآن الكريم ومصدره ، ومصادقية الوحي المحمدي، فابتداء من الصفحات الأولى من المقدمة يعقد المترجم مبحثاً لقضية ترتيب الآيات والسور وهي القضية التي لا يمكن لأي مستشرق يبحث في القرآن وعلومه إلا أن يتعرض لها بما يثير التساؤلات الغريبة ويفرز الإشكالات المثيرة. يقول وهو يخاطب القارئ : "إن ترتيب السور في المصحف لا يتوافق مع الترتيب الزمني للتنزيل أو النزول، والأكثر من ذلك أننا نجد في إطار السورة الواحدة آيات نزلت في أوقات متباعدة، ولا ترى العقيدة ولا علوم الإسلام أي حرج في ذلك. بل إن التنافر بين ترتيب النزول وترتيب الجمع يتعاضد أحياناً ليصل إلى حد التناقض كما في سورة الأنفال وسورة التوبة أو الفاتحة..".

فبعدما قدّم نماذج على ما يزعمه متناقضا ومتنافرا في السور العشرين الأولى من المصحف، لا يجد بيرك ما يختم به -وهو يريد زرع روح الشك والتشكيك في ذهن القارئ- إلا أن يقول: "إن المؤمن لا يتساءل -بطبيعة الحال- عن هذه التناقضات والتفاوتات الشكلية، لكنه بالمقابل يلاحظ -كما نفعله- بأن كثيرا من التنزيلات المكية قد تجمعت في آخر المصحف لكي تندغم في لغز..." والغريب في الأمر أن جاك بيرك الذي طالما تشدق بكونه استأنس بمعظم التفاسير القرآنية القديمة والحديثة لم ينتبه لعلم مستقل بذاته يسمى "علم المناسبات" وهو يختص بإبراز وجوه المناسبة بين السور فيما بينها، وكذلك بين الآيات في إطار السورة الواحدة، حيث اهتم كثير من العلماء والمفسرين بترابط الآيات وتناسقها وكيف أن الآية القرآنية تأخذ بأعناق الآيات السابقة واللاحقة بصورة تجعلها منسجمة بعضها ببعض ومتلائمة وغير متنافرة أو متناقضة كما يزعم بيرك، وقد أشار الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره -وقد رجع إليه بيرك كثيرا في تعليقاته- إلى كثير من مناسبات السور والآيات حتى عد من أبرز المفسرين اعتناء واهتماما بذكر تلك اللطائف والمناسبات.

إن مثل هذه الشبهة التي أوردها بيرك والتي تعد قديمة قدم الاستشراق نفسه تسعى بوضوح إلى تأكيد أن القرآن إنتاج بشري وليس إلهيا، وبالتالي فإن ترتيب سور وآياته يخضع لاعتبارات تفاعل -واضعه وهو الشخصية المحمدية- مع الأحداث والوقائع التي كانت تتأثر بها تلك الشخصية.

والذي يمكن قوله بهذا الصدد -وباختصار- هو أنه من الصعب جدا على مستشرق أعجمي أن يستوعب ملامح الإعجاز القرآني في تلك



العلاقة الدقيقة للآيات بعضها ببعض، وهذه العلاقة تبرز لنا نظاماً معجزاً لا يتأتى لبشر أن يأتي به.

ولعل ما أشار إليه بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في قوله: "لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تُطَّلَع على أنه توقيفي صادر عن حكيم، أحدها: بحسب الحروف كما في الحواميم، وثانيها: موافقة أول السورة لآخر ما قبلها كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة..". ويبدو سعي بيرك الحثيث إلى نسج خيوط التشكيك والتشويش على القارئ الغربي بوضوح وجلاء عندما يقول: "إن العرض القرآني للقضايا ينتقل بدون تمهيد من موضوع لآخر ليعود إلى الأول أو إلى قضايا أخرى، وهذا الأمر الذي تُضخم منه الترجمات الغربية يخلق نوعاً من الاختلاف والتنوع يحسبه القارئ الأعجمي من قبيل المتناقض".

والعود إلى دراسته التي أرفقها بالطبعة المترجمة لمعاني القرآن الكريم ترينا إلى أي مدى سقط جاك بيرك في أسر الاستشراق رغم مكابرتة؟ وكيف حاول أن يزعم أنه يعود إلى التراث لتفسير ما يريد من القرآن الكريم في حين جاءت تركيباته وأدواته فاضحة له؟ وكيف حاولت الزعم بأنه يؤثر الأخذ بالمنهج العلمي لتأكيد أشياء متهافة.. وما إلى ذلك مما يؤكد على قصور المعرفة - فضلاً عن قصور الوعي المنهجي - في تعامله مع النص القرآني (٢) ..

وهو ما نفضل إثارة العود إلى التقرير العلمي للجنة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية في أكثر من موضع هنا

\*\*

وكان اكثر من نبه الى غياب المعرفة لدى الاستشراق المعاصر د. ابراهيم عوض فى كتابه فى هذه الفترة حين اكد فى عرض الأشارة الى معرفة جاك بيرك فلاحظ أن المسألة تعود فى جوانب كثيرة منها إلى جهل الرجل بأبسط أوليات النحو والصرف والبلاغة عندنا، وإلى عناده فى وجه من نبهوه إلى أخطائه، القصور المعرفى عناد يقوم فى كثير من الأحيان على السفسطة وعلى اللف والدوران. ثم أن استعائته بما يسمى بالمناهج الحديثة هى كلام نظرى أكثر منه واقعا عمليا؟ لقد عاث الرجل فسادا فى النص القرآنى ، أحيانا عن عمد، وأحيانا عن جهل. وهذا وذاك لا يليقان بمستشرق يزعم ويزعم من يتحمسون له أنه قام بعمل كبير؛ واسهب د. عوض فى دراسته المهمة فى اخطاء ترجمة جاك بيرك من ضعفه فى اللغة الى اضطرابه فى استخدام المصطلحات البلاغية الى غير ذلك من الاخطاء الفادحة التى تجاوز سوء الظن لدى المستشرقين الى قصور المعرفة لمعانى القرآن الكريم واللغة العربية ( ٣).

والواقع ان هذا رأى الاخير يقرينا الى حد بعيد من فهم هذه المعارك التى دارت حين صدرت ترجمة جاك بيرك لأول مرة فى عام ١٩٩٠ فاثارت ضجة واسعة النطاق - على تعبير د. ابراهيم عوض - وذلك بسبب الاختلاف الحاد حولها ؛ ثم تجددت الضجة بعد ذلك بسنوات حين نشر كتابه المهم فى هذا الصدد ..

وعلى هذا النحو ، فإن استعادة هذا الدافع عن تجليات المعرفة وقصورها لدى من يسعى الى ترجمة معانى القرآن الكريم اكثر مايلفت النظر هنا ..

ونقترب هنا من تصور د. زينب عبد العزيز احد رموز اللجنة العلمية التي تلاحظ ان جاك بيرك يفتقد الأمانة العلمية في أسلوبه الذي يشي عن تعصب مغرض أدى به إلى تشويه صورة الإسلام . وتقول الكاتبة: إنها لم تقرأ كل ترجمة جاك بيرك ، وإنما قرأت المقدمة التي كتبها ، وتقع في اثنتين وثمانين صفحة، وتؤكد أن ما ورد في هذه المقدمة من مغالطات وتحريف ومعان كلها تتخفى بمسوح العبارات اللغوية المعضلة.

وتسأل الكاتبة : لماذا هذه الترجمة الجديدة لمعاني القرآن ، وهناك العديد من الترجمات وأغلبها قام بها مستشرقون مثله ؟! تؤكد الكاتبة أن السبب الحقيقي لهذه الترجمة هو فزع جاك بيرك حينما أدرك أن تحول العديد من الناس والمفكرين عن معتقداتهم أو آياتاتهم غير الإسلامية واعتناقهم الإسلام هو واقع معيش اليوم، فراح يسفه لهم معاني القرآن ، أملا في الحد من هذه الموجة الآخذة في الانتشار ؛ رغم القهـــــر ورغـــــم محـــــاولات الإبـــــادة .

وتؤكد الكاتبة أن المحاور الأساسية التي يتناولها جاك بيرك في المقدمة التحليلية تكفيها الكثير لإدانة هذا العمل المغرض ، وهاك بعض ما ورد فيها:

= التشكيك في نزول وترتيب القرآن :  
حيث قال: "إن المصحف لا يتبع الترتيب الزمني للتنزيل ، والأكثر من ذلك كثيرا ما تجد بداخل نفس السورة آيات نزلت في أوقات متباعدة ، ولا تـرى العقيدة ولا يرى علم الإسلام أي قلق في ذلك ".  
= زعمه بتحريف القرآن للهوية الأساسية ، بالطريقة التي يتناول بها الأســـــاطير الإنجيلية:

حيث قال: "سواء أكان الأمر يتعلق بإبراهيم أو نوح أو يونس أو موسى فهو يحرف الأساطير إلى أنواع من الحوار المشوب بعلم النفس الغارق بالطرافة ، والنبرة تحاول أن تبدو حكاية ودرامية"، أي أن القرآن يحاول التحريف إلا أن أمره مكشوف له .

= أن النبي صلى الله عليه وسلم - في نظره - ينتقي مما يوحى إليه، ويسـتـبـعـد مـا يـمـكـنـه أن يـكـشـف شـخـصـه .

وترى الكاتبة أنه لا بد من الإشارة إلى إصراره الغريب منذ بداية المقدمة حتى نهايتها على تأكيد تأثر القرآن بالفكر اليوناني بأكثر من وسيلة ، أي أنه عبارة عن تجميع من التراث التاريخي دون أن يقولها صـرـيـحـة واطـرحة .

= ويختتم جاك بيرك مقدمته المشحونة بالفقرة التالية :

"وهنا يؤدي تساؤلنا إلى تساؤل أكبر : هل الديانات الإبراهيمية قادرة على تحقيق مجهود التأقلم في المستقبل ذلك المجهود الذي يقع على عاتقها جميعا ؟ تري وبأية طريقة ؟ وبأية شروط ؟ وبأي ثمن ؟ فيما يتعلق بالإسلام حيال هذه المهام فإن الصفحات السابقة تجعلنا نعتقد أنه ما يزال أقل من الإمكانيات التي يتيحها له نصه الأساس ."

وهنا تضيف الكاتبة أنه بغض النظر عن محاولته المتصفة للجمع بين الإسلام والمسيحية واليهودية في صعيد واحد ؛ فهذا هو يقلل من بينهما شأن الإسلام وحده أليس هو "ما يزال أقل من الإمكانيات التي يتيحها له نصه الأساس ؟!"

ثم تتساءل: هل تتفق هذه الصورة أو هذا الرأي مع حقيقة الإسلام "والاطمئنان الروحي الذي كان يسعى إليه ووجده في القرآن" على حد قوله لمجلة الجهاد ؟ أم أن ما جاء في هذه المقدمة محاولة مغرضة

للنيل من القرآن ، بزعم العصرية والحدائثة والسفسطة اللغوية ليمتشي مع "متطلبات العصر"؟ (٤)

وحول القصور المعرفي اسهب الباحث حسن عزوزي التعمد فى حذف أجزاء وزيادة أخرى في النص القرآني والتحريف المعجمي وقلب الحقائق القرآنية وأخطاء ناجمة عن سوء الفهم وأخطاء ناجمة عن التصحيف في قراءة ألفاظ قرآنية فضلا عن لتصرف في ترتيب أجزاء الآية القرآنية الواحدة: ولترجمة بما يثير السخرية لدى القارئ الغربي وايضا عدم الالتزام بترجمة موحدة للفظة القرآنية والإغراب في ترجمة أسماء السور القرآنية ثم انعدام التركيز وقلة الاحتراس أثناء الترجمة وما الى ذلك مما يضيف الى التعمد فى خلط الامور القصور المعرفي الكبير فضلا عن الحواشي والتعقيبات المعيبة

ولنتمهل هنا اكثر عند بعض صور التحريف المعجمي (٥) المقصود بالتحريف المعجمي إطلاق معان غريبة وبعيدة عن المدلولات القرآنية المعروفة، فهما حاول جاك بيرك تسويغ تلك المعاني المستهدفة فإن المتخصص في التفسير القرآني لا يمكن أن يستسيغها في مجال الترجمة لأن روح المعاني القرآنية المنشودة تفتقد أثناء الترجمة وبالتالي يختل المعنى وينعدم المطلوب والمقصود من نقل كلام الله تعالى إلى لغة أجنبية.

#### ١- لفظة الأمي :

مما لا شك فيه أن جل المستشرقين لا يؤمنون بأمية نبينا عليه الصلاة والسلام، وهم يرون أنه لم يكن جاهلا بالقراءة والكتابة ، محاولين تدعيم رأيهم بأدلة واهية، وذلك من أجل الخلوص إلى نتيجة مفادها أنه صلى الله عليه وسلم قد استفاد من التوراة والإنجيل اللذين

كانا نعم العون له في نسج تعاليم القرآن الكريم. ولا غرابة في ذلك، فمسألة كتابة الرسول صلى الله عليه وسلم وقراءته تعد نقطة جوهريّة في الإيمان بالإسلام، إذ لو أن مستشرقاً قال بأمية الرسول عليه السلام ونفى القراءة والكتابة عنه وأنه كما وصفه القرآن لاستوجب ذلك منه منطقياً الإيمان بالإسلام لأنه عندئذ يكون القرآن من مصدر إلهي غير بشري.

وإذا كانت خلفيات معظم المستشرقين الدينية لا تسمح لهم بالإقرار بأمية الرسول عليه الصلاة والسلام مما يحاولون تأكيداً كلما أرخوا للسيرة النبوية أو تحدثوا عن مصدر القرآن الكريم، فإن الأمانة العلمية تفرض عليهم - وعلى غيرهم - أن يترجموا لفظة " الأمي " الواردة في القرآن كما يدل عليه المعنى المراد والذي يعونه جيداً بطبيعة الحال.

ولنقف عند ترجمة جاك بيرك للفظ " الأمي " من قوله تعالى:  
" الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ " ( الأعراف ١٥٧ )

حيث ترجمها بقوله :

" Le prophète maternel qu'il trouvent chez eux inscrit.. "

والترجمة نفسها نجدها في الآية التالية "فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ " ( الأعراف: ١٥٨ ) .

وعند مراجعتنا لمختلف الترجمات القرآنية التي وضعها المستشرقون والمسلمون على السواء وجدناها تترجم اللفظة إما بلفظة : illetré أي الذي لا يقرأ ولا يكتب وهي الترجمة الصحيحة وقد اهتدى إليها حمزة بوبكر وغيره، أو gentil كما عند حميد الله وريجيس

بلاشير نسبة إلى الأميين الوثنيين الذين لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتابا أنزله الله، وقد أورد ابن جرير الطبري هذا الوجه في تفسيره عند تفسيره لقوله تعالى "وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَاتِي" (البقرة: ٧٨) ، لكنه قبل ذلك أكد معنى الجهل بالقراءة والكتابة عندما قال: قال أبو جعفر: يعني الذين لا يكتبون ولا يقرؤون ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم "إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب". أما ما ذهب إليه جاك بيرك من ترجمته للفظـة "أمي" بـmaternel نسبة إلى الأم mère فهي ترجمة واهية لا تحقق المراد من نقل المعنى الأصلي للفظـة، بل إنها تثير الالتباس والاضطراب لدى القارئ، إذ ما الذي يمكن استيعابه وفهمه من جملة le prophète maternel ، ومهما ذكر بعض المفسرين من أنه إنما قيل للأمي أمي نسبة له بأنه لا يكتب إلى أمه لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء، فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه". فإن ذلك لا يعدو أن يكون وجهـا تفسيريا للفظـة يعود بها إلى أصل وضعها، لكنها وفق ذلك المعنى لا يمكنها أن تؤدي المعنى المراد في السياق القرآني، وبالتالي فإنه لا يجوز أن تترجم على ذلك النحو.

وما لنا نذهب بعيدا وهذا كتاب الله تعالى بعد أن وصف محمدا عليه السلام بأنه أمي في سورة الأعراف فسر معنى هذا الوصف في سورة العنكبوت التي هي مكية أيضا فقال: "وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُ بِيَمِينِكَ إِذَا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ" (العنكبوت: ٤٨) . وهذه السورة نزلت بعد الأعراف بوقت طويل وهي من آخر السور المكية نزولا بل إنه لم ينزل بعدها بمكة إلا سورة واحدة. ويذكرنا صنيع جاك بيرك هذا بما ترجم به المستشرق الفرنسي أندريه شوراكي لفظـة الرجم الرحيم

ب: le , matriciel le matriciant نسبة إلى لفظة: matrice التي  
تعني رجم المرأة، وقد أخذ ذلك من إحد اشتقاقات لفظة الرحمة التي  
ذكرها المفسرون ، والتي لا يمكن أن يضعها مقابلا للرحمن الرحيم.  
إلا من استهدف تحريف القرآن والتشويش على قرائه باللغة الفرنسية.  
إن ترجمة بيريك للأمي ب: maternel يلائم هدف المترجم المتمثل  
في إضفاء معنى مثير للحرج بالنسبة إليه وهو النصراني، ولكن بالنسبة  
إلينا نحن المسلمين فإن اللفظة تمثل حقيقة دينية بالغة الأهمية في سياق  
العقيدة الإسلامية الصحيحة، إنها من آيات ودلائل نبوته عليه الصلاة  
والسلام، فهو أمي أتى بكتاب يعجز الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا  
بسورة من مثله.

وإذا كان بيريك قد سعى جاهدا إلى إخفاء معنى الأمية من آتي  
الأعراف، فإن المثير للغرابة أنه عندما ترجم قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ  
أُمِّيُونَ لَا يَخْلُمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أُمَاتِي﴾ (البقرة: ٧٨) ترجم لفظة " أميون"  
ب: incultes التي تعني " غير المثقفين" من لفظة الثقافة Culture ،  
وهذا المعنى يعد أقرب إلى الجهل بالقراءة والكتابة لكن المترجم الذي  
استعمل هذا المعنى في سياق الحديث عن اليهود الذين لا يعلمون الكتاب  
إلا أماني أبى في سياق الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمي إلا  
أن يمعن في الإغراب ويستعمل في الترجمة مرادفا بعيدا كل البعد عن  
المعنى المراد، وهو يعلم جيدا أن " الأميين" في سورة البقرة هي جمع  
للأمي في سورة الأعراف. ونود بهذا الصدد الإشادة بعملية التصحيح  
التي قام بها الشيخ صبحي الصالح -رحمه الله- لترجمة المستشرق  
الفرنسية ديمش ماصون للقرآن الكريم حيث يلاحظ المطالع لهذه الترجمة



أن لفظة الأمي في آيتي الأعراف قد مُحِيتَا وَكُتِبَ محلها بخط مطبوعي مغاير Le prophète qui ne sait ni lire ni écrire ( النبي الذي لا يقرأ ولا يكتب ) ،وهي أفضل ترجمة تؤدي المعنى المنشود،وهو ما سوف يتحقق من مختلف الترجمات التي يسغى مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف إلى إنضاجها على أساس نقل "التفسير الميسر" الذي أصدره عام ١٤١٩هـ إلى مختلف اللغات العالمية، وهو التفسير الذي جاء فيه عند الآية ( ١٥٧ ) من الأعراف : "وَيَتَّبِعُونَ الرِّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ وَهُوَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي يَجِدُونَ صِفَتَهُ وَأَمْرَهُ مَكْتُوبِينَ عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ" .

## ٢-لفظة "الجهل" ومشتقاتها

تأتي لفظة "جهل" ضمن مشتقات كثيرة في القرآن الكريم منها ( تجهلون ) ( يجهلون ) ( الجاهل ) ( الجاهلين ) ( جهولا ) وغيرها. وقد ترجمها جاك بيرك في جميعها بلفظة: païen التي تعني وثني أو عابد الأصنام وقد يترجمها أحيانا بما يعني عدم المعرفة وهي الترجمة الأقرب إلى الصواب، غير أن المثير للانتباه هو أن المترجم يكاد يعمم المعنى الأول في جميع الآيات، فتتحرف بذلك معاني الآيات من معنى الجهل الدال على قلة المعرفة وعدم العلم إلى معنى الوثنية.

- إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ( الأعراف: ١٣٨ ):

**Décidément vous êtes un peuple de païens"**

- إنكم قوم من الوثنيين -

- وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ( الفرقان: ٦٣ ) :

**"Si des païens les interpellant ils disent "salut**

وإذا خاطبهم الوثنيون قالوا سلاما -

ولاشك أن المتأمل اللبيب عندما يقارن بين ترجمة "الأميين" بـ gentils كما فعل معظم المترجمين ومنهم جاك بيرك في آل عمران ( ٢٠ ) وآل عمران ( ٧٥ ) وترجمة الجاهلين بـ païens يستطيع أن يربط بين السياقين: سياق الأميين بمعنى الوثنيين gentils وسياق الجاهلين بمعنى الوثنيين. وهذا يعد من جاك بيرك فهما غير سديد، فماذا عسى القارئ أن يفهمه من الآيات التي تتحدث عن القوم الجاهلين الذين "يجهلون عظمة الله ولا يعلمون أن العبادة لا تنبغي إلا لله الواحد القهار" عندما تترجم بالقوم الوثنيين؟

ويظهر أن جاك بيرك قد شذ شذوذا غريبا في توظيفه للفظـة "الوثنيين" مقابلا للفظـة "الجاهلين"، إذ لم يسبق إلى هذا الصنيع أحد من المستشرقين المعاصرين الذين اتفقوا جميعا على ترجمة لفظـة "الجهل" بـ L' Ignorance .

### ٣- لفظـة "الكفر":

أعرض جاك بيرك في ترجمته للفظـة "الكفر" ومشتقاتها عن كل ما يقابلها في اللغة الفرنسية مما يفهمه عامة الناس من حقيقة اللفظـة ومعناها الأصلي، وإذا كان حميد الله ومامصون وحمزة بوبكر وغيرهم قد استعملوا الألفاظ التالية :

incréduls - infidèles - mécréants مما يدل بوضوح على معنى الكافرين، فإن جاك بيرك أبى إلا أن يحرف معنى اللفظـة في سياقها القرآني إلى ما يدل على الإنكار والنفي Dénégation ( الذين كفروا - الكافرون = Les dénégateurs ) . ومن الواضح أن القارئ لهذه الترجمة كيفما كانت ثقافته لا يكاد يفهم منها سوى معنى النفي والإنكار

فَقَوْلُهُ تَعَالَى: "إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ" (البقرة: ٦) جاءت في ترجمة بيرك على الشكل التالي:

إن الذين نفوا ( أنكروا ) سواء عليهم ... Quant a ceux qui  
. dènient

وقوله تعالى: "إِنَّهُ لَا يَنْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ" (يوسف: ٨٧)

ترجمها بقوله : Ne désespère de ce souffle que le peuple :  
des dénégateurs

-إنه لا ينس من روح الله إلا القوم النفاة ( أو المنكرون) - نفاة  
ماذا أو منكرو ماذا؟ هذا ما لم تستطع ترجمة جاك بيرك أن تستوعبه،  
وبالتالي فإن القارئ لمثل هذه الترجمة لا يستطيع أن يفهم من معنى  
النفي والإتكار أولئك الذين جحدوا بالرسالة وكذبوا بالرسول. فضلا عن  
كل هذا فإن استعمال فعل dénier يكون عادة في سياق الحديث عن  
الأشياء والأفكار وليس في حق الله تعالى، فلا يقال: dénier son  
seigneur نفى الرب وإنما كفر بالرب، ومهما حاول جاك بيرك أن  
يسوغ هذه الترجمة في التقديم الذي وضعه للترجمة) - معترفا بالمقابل  
بأنه جازف بتقديمه لتعبير جديد - فإن ما ذهب إليه في هذا الشأن قد  
أنكره عليه بعض المستشرقين أيضا.

٤- لفظة الزكاة:

من المعلوم أن من معاني الزكاة النمو والزيادة كما أنه يراد بها  
التطهير، لكن هذه المعاني اللغوية لا يمكن عند إطلاقها -دون بيان أو  
توضيح أو ربط بالمدلول الرئيس للفظ- أن تؤدي المعنى المطلوب  
الذي هو ذلكم الحق الذي يجب في المال، كما أنها لا يمكن أن تدل على

الفريضة المعلومة والركن الرابع من أركان الإسلام، لذلك فإن ترجمة لفظة الزكاة إلى اللغات الأجنبية بأي معنى من تلك المعاني تستبعد بصورة تامة المعنى الأساس المطلوب، وهذا ما لم يستوعبه جاك بيرك عندما لم يجد للزكاة من مرادف سوى معنى التطهير ترجم الزكاة بلفظة "purification" في جميع الآيات التي ورد فيها الإخبار أو الأمر بإيتاء الزكاة، ويبدو أن المترجم قد أخذ معنى التطهير من قوله تعالى : "خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا "

Prélève sur leurs biens une aumône pour les en purifier, les épurer

لأنه عندما ترجم قوله تعالى في الآية ( ٣١ ) من سورة مريم "وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا" قال:

( IL ) m ,a recommandé la prière ,le prélèvement purificateur pour tant que je vivrai

في ترجمة لا تؤدي المطلوب ، وكأنه في هذه الآية أعطى للزكاة معنى الاقتطاع المطهر. ولاشك أن القارئ للآيات الآمرة بإيتاء الزكاة - وقد وردت بهذا السياق ثمان وعشرون مرة في القرآن الكريم - لن يفهم منها معنى الزكاة فريضة مقرونة بفريضة الصلاة في كل مرة.

فإذا أخذنا الآية ( ٤٣ ) من سورة البقرة: "وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ" التي ترجمها المترجم بقوله:

Accomplissez la prière , acquittez la purification, inclinez vous avec ceux qui s'inclinent.

أقيموا الصلاة وآتوا التطهير واركعوا مع الراكعين.

والتطهير كما هو واضح معنى لغوي لا يحمل حمولة فقهية وشرعية كما هو الشأن في لفظة الزكاة وبالتالي فإن ذهن القارئ -

الغربي على وجه الخصوص - لن يجد في الترجمة ما يدل على الزكاة شعيرة إسلامية واجبة في مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص.

ومما يدل على تخطيط المترجم في عدم الاهتداء إلى المرادف المناسب والمكافئ في لغة الفرنسيين للفظ الزكاة، أنه ترجمها مرة بكلمة pureté بدل purification التي تواترت في جميع أجزاء ترجمته، وذلك عند قوله تعالى: "وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ... " ( مريم: ٥٥ ) حيث ترجمها بقوله:

Il enjoignait aux siens la prière , le pureté .. ومعلوم أن لفظة pureté تدل على الصفاء والنقاء فأين معنى الزكاة من كل هذه المعاني؟.

وقبل أن ننهي الحديث عن لفظة الزكاة كما جاءت مترجمة في محاولة جاك بيرك لا بأس من الإشارة إلى خطأ وقع فيه الرجل عندما خلط بين الصدقة بمعنى الزكاة والصدقة بمعنى التطوع، وهذا أمر كان ينبغي أن يفتن إليه، وهو الذي طالما تشدق لمختلف وسائل الإعلام الغربية والعربية على السواء بكونه دائم الرجوع والاطلاع على شتى التفاسير القرآنية، وهو ما لم ينتبه له معظم الذين ترجموا القرآن من المستشرقين، لكن جاك بيرك كان أكثر قدرة على التمييز بين صدقة الفرض وصدقة التطوع بحكم رجوعه واستئناسه المتواصل بالتفاسير القرآنية كما يقول. إلا أنه انساق -في غفلة من الأمر- مع لفظة الصدقة التي تدل في السياق القرآني على الزكاة المفروضة تارة وصدقات التطوع تارة أخرى. وهذا ما تنبه له محمد حميد الله في ترجمته عندما ترجم لفظة الصدقات في الآية ( ٢٧١ ) من سورة البقرة "إِنْ تُبْدُوا

الصَّدَقَاتِ فَنِعْمًا هِيَ وَإِنْ تُخَفُّوْهَا وَتَوْتُوْهَا الْفُقَرَاءُ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ"،  
 بلفظة *aumones les* في حين ترجمها في آية التوبة ("إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ  
 لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ... "وفي الآية ( ١٠٣ ) من السورة نفسها "خُذْ مِنْ  
 أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا" بما يدل على الزكاة المفروضة  
 حتى إنه قدّم في ترجمة الآية الأخيرة مرادفا يدل على الضريبة  
 تميزا لها عن صدقة التطوع - حيث جاء في ترجمته :

"Prends sur leurs biens un impot par quoi tu les  
 purifies et les purges"  
 لفظة المسجد:

لا يجادل أحد في أن لفظة "المسجد" يقابلها في اللغة الفرنسية كلمة  
 "Mosquee" وهي الكلمة اللاتينية التي يشترك أصلها بين كثير من  
 اللغات الأوروبية المنحدرة عن اللاتينية مثل *mosque* في  
 الإنجليزية و *Moschee* في الألمانية و *mezquita* في الإسبانية إلا  
 أن جاك بيرك آثر أن يترجم لفظة "المسجد" بكلمة *Sanctuaire* وقد  
 يترجمها أحيانا بكلمة *Oratoire* ومن المعلوم أن كلمة *Sanctuaire*  
 تعني المعبد الكنسي وقد يعني الجزء من الكنيسة حول المذبح الذي تتم  
 فيه المراسيم الطقوسية. أما كلمة *Oratoire* فتعني المصلى في كنيسة  
 صغيرة. ولا شك أن قارئ الترجمة إذا كان مسلما فإنه لن يفهم معنى  
 المسجد مكانا لإقامة الصلوات، من تلك الترجمات الغريبة أما إذا كان  
 القارئ غير مسلم فإنه لن يفهم من اللفظتين الفرنسيتين سوى ما يوافق  
 النظرة النصرانية إلى خلوة الرهبان في أديرتهم وكنائسهم. وهكذا يمكن  
 القول بأنه كان ثمة تأثير قوي لثقافة جاك بيرك الدينية النصرانية في  
 ترجمته للفظـة "مسجد" إلى اللغة الفرنسية ( ٦ ) .

والأدهى من ذلك ترجمة الرجل للمسجد الحرام تارة بعبارة Sanctuaire consacré وتارة بعبارة Oratoire consacré بل إنه يتردد أحيانا في تغيير لفظة Consacré إلى لفظة sacré :مقدس ( البيت المقدس ) . وهنا نؤكد مرة أخرى أن جاك بيرك لا يلتزم في الترجمة بالمقابل أو المكافئ الواحد للفظة القرآنية، مما يكون مدعاة للالتباس والتشويش على القارئ.

إن ما هو مؤكد أن جاك بيرك كان يعلم في قرارة نفسه أن اللفظة المناسبة في ترجمة المسجد هي mosquée لكنه أراد أن يصبغ الترجمة التي رجحها بصبغة كنسية محضة لكي يفقد لفظة "المسجد" -وهو المصطلح الإسلامي الذي يدل على خصوصية وتميز عن باقي أماكن العبادة في الديانات الأخرى- حمولته الدينية المتفردة وطابعه الإسلامي المتميز، ولعل أكبر دليل على ذلك ما أورده في ترجمة قوله تعالى: "وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْذَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا" (الحج ٤٠) حيث اضطر لترجمة " المساجد " بكلمة mosquées لكي يضعها مقابلا لكنائس النصارى وبيع اليهود. فكيف أمكن للمترجم إذن أن يتفطن للفظة "mosquées التي هي المقابل الصحيح للفظة "المساجد" في هذه الآية فقط دون غيرها من الآيات وعددها سبعة وعشرون موضعا؟!

لفظة الأرحام:

لاشك أن مفهوم "صلة الأرحام" في الإسلام يعد خصيصة من خصائص ديننا الحنيف الذي يدعو إلى تماسك الأسرة الكبيرة والصغيرة ويهدف إلى توطيد وترسيخ أواصر القرى بين الأقارب الذين يجمع بينهم دم واحد. وإذا كان الأمر كذلك فلا ريب أن ترجمة هذا المفهوم بما

يفي بالمراد والمقصود يعدُّ أمرا صعبا إلى حد ما، بيد أنه مهما كان هناك تفاوت واختلاف بين المترجمين في إعطاء مقابل قريب للمعنى الأصلي، فإنه من غير المقبول أن يؤتى بلفظة matrices ( رحم المرأة ) مقابلا للفظه الأرحام، وهو ما فعله جاك بيرك عندما ترجم الآية الأولى من سورة النساء "وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ" بقوله:

Prémunissez-vous envers Dieu , de qui vous vous  
réclamez dans votre sollicitude et aussi envers les  
matrices

فجاء المعنى كالتالي : اتقوا الله الذي تستندون إليه في توسلكم ،  
وأیضا تجاه أرحام النساء ( جمع رحم المرأة = matrice ) .

وهكذا تنقلب "صلة القرابة" إلى معنى "رحم المرأة" ويحاول المترجم تسويق هذه المحاولة اليائسة في الترجمة قائلا: "إنها إشارة ممكنة للعبارة الشعبية القائلة: "تشدك الله والرحم" وتعني أناشدك باسم الله والقرابات الأمومية وتعني حرفيا "الرحم" matrice "...".

وتذكرنا هذه الترجمة الخاطئة بما ذهب إليه مواطن فرنسي آخر نشر ترجمة لمعاني القرآن الكريم كانت من أخبث المحاولات التي عرفها تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم ، فقد ترجم أندريه شوراكي Andre chouraqui وهو يهودي متأثر بثقافته العبرية لفظتي "الرحمن الرحيم" بكلمتي Le matriciant le matriciel حيث استعمل لفظه "رحم المرأة" matrice لكي يخرج منها صيغتين من صيغ المبالغة .

والقارئ للترجمة مهما كانت ثقافته جيدة فإنه عند اطلاعه على هاتين اللفظتين لا يستطيع بحال تبين معنييهما إلا إذا رجع إلى كتب اللغة والتفسير لكي يكتشف أن من بين الأصول الاشتقاقية للفظه "الرحمن" اسم الرِّحْم ، وهو ما جاء في الحديث القدسي : " قال الله تعالى:



أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته". غير أنه إذا كان الحديث يشير إلى الرحم بمعنى القرابة بدليل السياق الأخير ( صلة الأرحام ) فإنه من غير المعقول أن تترجم لفظة "الأرحام" في الآية الأولى من النساء بما يدل على رحم المرأة، بل ينبغي فهم المعنى ومحاولة تقريبه إلى الآخر في لغته وثقافته، ولا شك أن المترجم كان يعلم جيدا أنه باختياره وترجيحه لهذه الترجمة الفاسدة كان يوغل في نسج الغموض والتشويش على القارئ؛ لأنه كان باستطاعته تقديم اللفظة المناسبة والملائمة، ولا سيما أنه اطلع على ترجمات زملائه السابقين الذين سعى كل منهم إلى محاولة تقريب المراد من اللفظة إلى قراء الفرنسية. وما لنا نذهب بعيدا وهاهو ذا جاك بيرك نفسه يترجم اللفظة نفسها في آية أخرى بما هو أقرب إلى تحقيق المقصود بعيدا عن لفظة "matrice" فقد ترجم قوله تعالى: "فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ" (محمد ٢٢) بقوله: **mettiez en pièces vos liens de parenté..** صلات القرابة. ويبدو أن المترجم قد تبين له استحالة وضع **matrice** مقابلا للفظ الأرحام في هذه الآية؛ لأن سياق الآية فيه معنى التقطيع والتمزيق، فإذا دخل على أرحام النساء ذهب المعنى بعيدا وأضحى المدلول المترجم مستبشعا ومستهجنا. أما عند قوله تعالى: "وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ" (الأنفال ٧٥) فقد ترجمها بيرك بقوله:

**Quand aux parents par les femmes , ils ont priorité  
les uns sur les autres selon le livre de Dieu**

وهو ما يعني: "أما فيما يخص الأقارب من جهة النساء فلهم أولوية بعضهم على بعض وفقا لكتاب الله". وتأكيدا للأقارب من جهة النساء فيه تحريف واضح لمعنى الآية التي تشير إلى أولي الأرحام بصفة عامة، وقد حاول المترجم إيهامنا بأن معظم المفسرين باستثناء ابن عطية قد ذهبوا إلى أن المراد "الأقارب من جهة النساء" وهذا كذب وبهتان، فبرجعنا إلى كثير من التفاسير لم نجد أحدا منها يخص القرابة الرحمية في النساء فقط، فتفسير الطبري الذي أكد بترك أنه كان مرجعه الأساس في الترجمة لم يشر إلى ذلك التخصيص من قريب أو بعيد حيث قال عند تأويل الآية: "والمتناسبون بالأرحام بعضهم أولى ببعض في الميراث إذا كانوا ممن قسم الله لهم منه نصيبا وحظا من الحليف والولي" . .

يمضى في هذا الاتجاه أيضا في قلب الحقائق الكونية ، فكثيرة هي المعاني القرآنية التي جاءت مترجمة عند بترك على غير حقيقتها، قد يكون ذلك ناتجا أحيانا عن سوء فهم - وإن كنا نستبعد من عضو مجمع اللغة العربية أن لا يفهم التعبير القرآني كيفما كان نظمه وأسلوبه - وقد يكون ذلك ناتجا عن سوء نية، وبخاصة إذا علمنا المدة التي قضاها في الترجمة ( أكثر من عشر سنوات ) واعتماده على مختلف التفاسير القديمة منها والحديثة وإمامه الواسع بقواعد اللغة العربية ، ثم تأكيده لنا عبر مختلف الحوارات التي أجريت معه بعد صدور الترجمة بأنه أعاد مراجعتها ثلاث مرات قبل دفعها للنشر.

أمام هذه المعطيات والحيثيات التي لم تُتَحَ لغيره من المستشرقين الذين أقدموا على ترجمة معاني القرآن الكريم لا يسعنا إلا القول بأن

وقوع بترك في أخطاء تتعلق بقلب المضامين والمعاني والحقائق  
القرآنية أمر خطير ينبغي التنبيه عليه والعمل على تسديده ومعالجته.  
ولا يسعنا في هذا المقام سوى تقديم نماذج معينة تبرهن على تأكيد  
هذا الأمر.

أ- عند ترجمته لقوله تعالى "فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ  
مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ" (البقرة: ٢١٣) . قال:

**Mais Dieu avait guidé les croyants à diverger avec  
son autorisation sur tels points de la vérité**

وهذا يعني: "لكن الله هدى المؤمنين إلى الاختلاف بموافقتهم حول  
نقاط معينة من الحقيقة". ولا شك أن القارئ الفطن يدرك بسرعة أن  
المترجم قد قلب معنى الآية رأساً على عقب، مما نجم عنه تحريف فظيع  
وتشويه مريب. فبعد أن كانت الآية القرآنية تدل في أصلها على أن الله  
تعالى قد وفق المؤمنين بفضلته لتمييز الحق من الباطل ومعرفة ما  
اختلفوا فيه، أصبحت تعني حسب الترجمة البيركية أن الله قد أرشد  
المؤمنين بإذنه إلى الاختلاف.. فالآية المستشهد بها اختتمت بقوله تعالى  
"وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" مما يعني أن الله لا يهدي إلى  
الاختلاف وإنما يهدي إلى الحق وإلى الصراط القويم، فقوله تعالى "فَهَدَى  
اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ" يسنده ويحققه ويؤكدده  
المقطع الذي يليه ( وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) .

ب- عند ترجمته لقوله تعالى "وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً" (الإسراء

٥٩) قال :

**N 'avons nous pas donné à Thamûd la chamelle  
pour les éclairer ?**

ومعناه : ألم نعطِ لثمود الناقة لتبصرهم ؟

بادئ ذي بدء نلاحظ أن جاك بيرك قد جعل الجزء من الآية جملة استفهامية، وهو ما لا يوجد في النص القرآني، أما المعنى فقد انقلب كلياً، ويبدو أن الرجل -الذي لا نعتقد أنه رجع إلى التفاسير في ترجمة هذه الآية- قد توهم فاعتقد أن لفظة ( مبصرة ) تعود على الناقة، وهذا ما يقع فيه كل من لا يتريث ويرجع إلى ما قاله المفسرون في هذا الصدد، حيث الإجماع على أن المراد من قوله تعالى ( وَأَتَيْنَا ثُمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ) أي آية دالة مضيئة نيرة على صدق صالح عليه السلام وعلى قدرة الله تعالى. وهو ما يتأكد من قوله تعالى "وَالِى ثُمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ... " (الأعراف ٧٣)

من جهة أخرى يترجح أيضاً أن يكون جاك بيرك قد انساق وراء ترجمة المستشرقة الفرنسية دنيس ماصون عندما ترجمت ( مبصرة ) بقولها: pour les rendre clair voyants أي: لتجعلهم ( الناقة ) مبصرين. ولعل أفضل ترجمة للآية ما أورده الشيخ حمزة بوبكر في ترجمته حيث جاء :

Nous avons fourni la chamelle aux thamudites  
comme ( miracle ) visible . فقد وضع بوبكر لفظة ( آية ) المقدرة بين قوسين لكي يؤكد أن الإبصار إنما يعود على الآية : آية مبصرة : miracle visible

ج- عند ترجمته لقوله تعالى "رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تَدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ" ( آل عمران ١٩٢ ) .

قال:

Notre Seigneur ,C est Toi qui fais entrer ( le coupable ) dans le feu ,tu l'avais déjà mis à mal.

وهو ما معناه : "ربنا إنك أنت الذي تدخل ( المجرم ) في النار . لقد أخزيتة".

فاعتقد المترجم أن "من" للموصول فاستعاض عنها بالذي، وتغير المعنى الأصلي للآية التي انشطرت بفعل سوء فهمه إلى جزئين، وتمّ بذلك قلب المعنى الحقيقي للآية. ويبدو أن المترجم لم يظن إلى جواب الشرط وفاء الشرط، ولو انتبه لذلك لما وقع في الخطأ، وهو خطأ فظيع قلب المقصد القرآني من الآية رأسا على عقب. ويمكن اقتراح الترجمة التالية:

Oui seigneur ! Qui conque tu fais entrer dans le feu  
, Tu le couvres d'ignominie .

وما إلى ذلك من صور القصور المعرفي الكبير الذي تردد وتعدد

(٧)

الواضح إذن أن جاك بيرك كثيرا ما كان يعتمد ترجيح المعاني المرجوحة والأصول اللغوية الغريبة، ويهمل المعاني المطلوبة والمدلولات الراجعة التي استقر عليها معظم المترجمين السابقين، إن لمعانه في الإغراب وشذوذه في تخير وإيجاد المرادفات في اللغة الفرنسية كل ذلك يجعلنا نشك في مدى نزاهته وموضوعيته في خوض غمار ترجمة معاني القرآن الكريم.

ومهما يكن ، فقد تنبه الكثير من الباحثين المعارين إلى خطر الاستشراق متمثلا هنا في ترجمة معاني القرآن الكريم واكدوا في يقين علمي محايد ان قضية المستشرق الفرنسي لم تكن غياب المعرفة بشكل متعمد وحسب ، وانما اضاف اليها ، بقصد ، الخوض في غمار المعرفة الانسانية الاسلامية وهو جاهل بها ، مما أكد على قصور

المعرفة والتوصل بها لصور مناقضة للبيان القرآنى فى هذه الترجمات  
المتباينة .

## الهوامش والمراجع

(١) صدر القرار بذلك رقم ٤٠٢ لسنة ١٩٩٠ في ٢٦ يونيو ١٩٩٠ وتم تشكيل اللجنة بالفعل من اساتذة فضلاء تقدمت الترجمة الموضوعية في اربع وتسعين صفحة من القطع الكبير ، وهى التى سيتم الاعتماد عليها هنا : ملاحظات اللجنة المختصة بمراجعة ترجمة الأستاذ جاك بيرك لمعاني القرآن للغة الفرنسية بناء على قرار ٢٠٤ لسنة ٥٩٩١ لفضيلة الإمام الأكبر الصادر في ٦٢/٦/٥٩٩١ ، اجتمعت اللجنة المشكلة لترجمة الدراسة التى كتبها الأستاذ جاك بيرك ، وألحقها بترجمته المصحف الشريف باللغة الفرنسية وحصر الأخطاء التى جاءت بهذه الترجمة، وقد خرجت اللجنة باتطباع عام هو: أن الأستاذ جاك بيرك جاهل باللغة العربية ، مغرض متعمد الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، وأنه يفتقد الأمانة العلمية والأدب الأخلاقي الذى يجب التحلي به عند تناول نص القرآن الكريم بالبحث والدراسة. وقد خرجت اللجنة باتطباعها هذا بناء على الملاحظات التالية والتي توردها اللجنة هنا كمجرد نماذج:

- ١ - جهله باللغة العربية : وذلك لعدم إدراكه إمكاناتها المتفردة ، ولقراءاته الخاطئة في التشكيل والنحو.
- ٢ - عدم فهم النص القرآني: بناء على جهله باللغة العربية وقواعدها في النحو والقراءة الصحيحة، فهو يسيء تفسير السور وأسمائها.
- ٣ - عدم الأمانة: وذلك بتشويه النقل عن المفسرين القدامى كالزمخشري

٤ - ترجمته محرفة: فهو يستخدم كلمات وألفاظا لا تعبر عن المعنى المقصود كاستخدام كلمة (قطع) للتعبير عن السور.

٥ - القرآن شعر قديم: يؤكد بيريك أن القرآن عبارة عن نوع من الشعر الحديث الذي لم تعرفه اللغة العربية إلا منذ جيل فقط.

(٢) لاهمية هذا التقرير آثرنا ان يكون بين يدى القارئ ، ولان يقترب من المائة صفحة فقد اكتفينا بتصوير الاوراق الاولى فى التقرير الاول بالاختاء الذى وقع فيها المترجم للآيات القرآنية ، وقد ارفقنا التقرير الذى كتب بخط يد اللجنة الموقرة بالفعل..

(٣) انظر كتابه : "ترجمة جاك بيريك للقرآن الكريم بين المادحين والقادحين ، مكتبة زهراء الشرق ٢٠٠٠ .٢".

(٤) د. زينب عبد العزيز-ترجمات القرآن الكريم الى اين ١٩٩٤

وظهرت للكتاب طبعتان فى نفس العام وهنا نصل الى الجزء الثانى مع الباحثة حول بعض نماذج من ترجمته ، اذ لانفهم معها انها لم تفهم حكمة بيريك في عدم اتباع منهج علمي واحد: فهناك عناوين سور لم يترجمها ، وإنما دون نطقها بالأحرف اللاتينية مثل سورة "الحجر" فكتبها "Al- Hijr" وسورة "الأحقاف" Al- Ahqaf ، وتتساءل : ألم يستطع أن يجد لهما معنى أو تعليلا رغم كل التفاسير التي اطلع عليها؟ ولا أعتقد أنها صعبة الترجمة ، خاصة وأنه استعان بأولى الآيات لترجمة عناوين أخري .

وتشير إلى ترجمته لسورة الروم باسم العاصمة روما إذ كتب Rome !! وتقول: إنه من الغريب أن يضع هنا أيضا هامشا يقول فيه: " نقول لأسباب ترخيم الصوت، أو التطريب Euphonie ، حيث كان لا بد من وضع كلمة "البيزنطيين" يا للمغالطة السافرة ! فمتي كانت الترجمة ، أو



اختيار الكلمات يتم من باب الترخيم والتطريب بعيدا عن المعنى؟! وتضيف الكاتبة أنه أحيانا يبدل من نهايات الآيات مثلما فعل في سورة "آل عمران" على سبيل المثال ، فالآية الثالثة التي تنتهي بقوله تعالى: وأنزل التوراة والإنجيل قد أنهاها في منتصف الآية الرابعة عند قوله: وأنزل الفرقان وهو ما لم نره عند غيره ممن ترجموا معاني القرآن.

وتتصدى الكاتبة إلى بعض النماذج مثل: قوله تعالى: "صم بكم عمي فهم لا يرجعون" "perdus sons retour ,aveugles ,muets ,Sourds" وتعني ترجمته: صم بكم عمي ، ضائعون بلا عودة . فإته بخلاف عدم الدقة في الترجمة ، فإن قوله: " ضائعون بلا عودة " يتضمن حكما قاطعا بالضياح ، في حين أن تعبير الآية يشير إلى أنهم لا يرجعون إلى الهداية التي كانوا عليها، أو لا يرجعون عن قرارهم هذا بعد.

قوله تعالى: إن الله شديد العقاب Dieu est Terrible en sa punition

وترجمتها: إن الله قظيع في عقابه، أو مرعب ، أو مخيف وهي مترادفات اختاره!

قوله تعالى: إن الله عليم بذات الصدور Il est Connaisseur de des poitrines L'etre

فترجمته الحرفية لكلمة صدور ب Poitrines تفقد الآية معناها، إذ قال: إن الله يعرف معرفة الإنسان الخاص بالصدور، وكأنه شخص متخصص في الشؤون الصدرية، ومن البديهي أن المقصود بها القلوب ، والضمائر

وليس الصـ.....در.

قوله تعالى: أجورهن... في الآخرة : Salaire... Vie derniere

فامتترجم الفرنسي ما يزال مصرا، أو مواصلا لترجمة هاتين العبارتين  
بمعنى "المرتـب" أو "الحـياة الأخرى".

ثمة نموذج آخر يوضح أسلوب تعامله مع النص القرآني ومدى فهمه  
له أو للغة العربية : قوله تعالى: "صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة  
ونحن لـ..... عابـدون"

Une teinture de Dieu mais qui peut mieux teindre que  
? nous L'adorons quand ، Dieu

وتعني ترجمته التي حول فيها معنى "صبغة الله" وتعني دين الله وهو  
الإسلام وفطرة الله التي فطر الناس عليها إلى "صبغة" من الصباغة  
وتغيير اللون ، وبذلك رأى أنه لا يوجد من يجيد الصباغة خير من الله ،  
إذ كتب ؛ صباغة من الله ، لكن من ذا الذي يمكنه أن يصبغ أفضل من  
الله ، عنـ.....دما نعبـ.....ده ؟".

ثم يسارع بوضع هامش يكشف عن سوء فهمه للنص القرآني وسوء  
نيته أو نزعته الانتقامية نتيجة لجهله، إذ يقول: " لا شك أنها إشارة  
ساخرة إلى التعميد المسيحي، إلا أن الإيحاء القوي للكلمة ( صبغة )  
يتعدى معناها بكثير ومع ذلك فالأفضل - في نظرنا - أن نترك للتشبيه  
كـ.....ل قوتـ.....ه".

وتتمهـ.....ل عنـ.....د موضـ.....ع آخـ.....ر  
قوله تعالى: "فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه"  
mais Dieu avait guide' les croyants a'diverger avec son  
'sur tels points de la ve'rite ، autorisation

وتعني ترجمته: "إن الله قد أرشد المؤمنين إلى الاختلاف ، بموافقتـه (أو بإذنه)، حول تلك النقاط من الحقيقة" الأمر الذي يقلب معني الآية من أن الله قد هدي الذين اختلفوا فيه من الحق إلى أنهم قد اختلفوا فيه بأمر من الله ، ثم يضع هامشاً يقول فيه: "إن (اختلفوا) الثانية تبدو في نظرنا أنها فاعل للمؤمنين ، وتبرر وجود مساحة من الاختلافات المذهبية ، إن التفسير التقليدي يخفي تماما هذا المعنى".

ثم تتساءل الكاتبة: هل هذه هي أمانة السيد بيرك؟! أن يحرف المعنى ثم يخرج من هذا التحريف بأدلة لإثبات الباطل . وتتساءل هنا: ما هو المطلوب من قراءة ترجمة معاني القرآن، أن يستخف القارئ بذلك النص ويتبع عنه، أم أن تؤدي قراءته إلى الإيمان وتثبيته؟

وتقول الكاتبة: "وختاما، لا يسعني إلا أن أقول لمن يستنكر ويرفض بشكل قاطع كلمة مستشرق ؛ لارتباطها بالمغالطات والتضليل، أقول لمن يقول عن نفسه: أنا مؤرخ اجتماعي، وباحث متخصص في شؤون العالم الإسلامي" أقول له: يا كبير المستشرقين، إن أبجديات المؤرخ الاجتماعي والباحث المتخصص بالالتزام بالأمانة والصدق والموضوعية، لذلك أقول لكبير المستشرقين: لقد هويت يا من كنت عملاقا، ويا لها من هاوية كشفت عن وجهيك.

ونلاحظ مع الباحثة انه بعد عامين من صدور ترجمته المغلوطة لمعاني القرآن ديسمبر ١٩٩٠ - قام جاك بيرك بإصدار كتاب جديد في شهر مارس ١٩٩٣ يحمل نفس العنوان الذي كان قد وضعه لتلك المقدمة الطويلة وهو ( إعادة قراءة القرآن ) وهو عبارة عن أربع محاضرات،

كان قد ألقاها في "معهد العالم العربي" بباريس.  
المحاضرة الأولى بعنوان: "مدخل إلى بنية" يقول فيها جاك بيرك: إنه  
سيتناول "موضوع القرآن بنوع من التقصص المفترض فيه الإخلاص  
والانتماء، ولا علاقة له بالتحذلق المتعجرف الذي يلجأ إليه كثيرون من  
المتخصصين في هذا المجال".  
وتؤكد الكاتبة أن القرآن في نظر جاك بيرك عبارة عن قصيدة شعرية  
صيغت ، أو تم تجميعها - كما سيقول فيما بعد - على مقربة قرن من  
عصر - جوستينيان ، ذلك الإمبراطور الروماني الذي تأثر به القرآن  
وبالقوانين التي أخضعها عنده !!  
وينتقل جاك بيرك إلى أن النظام التزامني يتعارض مع النظام التركيبي  
التعبيري ، لذلك يرى سيادته " أن نسيج القرآن يذكره بذلك السجاد  
المغربي الذي تظهر فيه نفس الوحدات اللونية في الوسط وفي الأطراف  
".

وهنا تقول الكاتبة: إذا لم تستح فافعل ما شئت ، فعلى الرغم مما في  
عباراته من استهتار، يكفي تشبيهه القرآن بالسجاد، والسجاد مداس  
يوطأ بالأقدام، وإن لم يكن بذيء النية إلى هذا الحد لاختار عبارة أخرى،  
لكن الإسفنج تنضج بمحتواها.  
وينتهي هذه المحاضرة الأولى باكتشاف مدو لم يسبقه إليه أحد في مجال  
الدراسات القرآنية ، لا في الشرق ولا في الغرب - على حد قوله -  
حول تناظر بعض الكلمات في بعض مخطوطات القرآن - مستشهدا  
بإحدى مخطوطات المسجد الكبير في تونس، ومن نماذج هذه  
المخطوطات مصحف مطبوع بالمدينة المنورة تتناظر فيه كلمة الجلالة  
إذا ما بدأ بها أول السطر في بداية الصفحة.

المحاضرة الثانية: تدور حول موضوع: الزمان في القرآن، أو كيفية إدخال الزمان في تبليغ المطلق ، أي أنه سيدرس "إلى أي مدى سينتشر هذا المطلق الذي تم تبليغه للبشر، وإلى أي مدى سينتشر هذا الخلود المهاجر في الزمن؟ إلى أي مستوى من النص؟ إلى أي مدى من الخلود المقترح —————ة أو المع —————للة.

وتقول الكاتبة: إن جاك بيري في هذه المحاضرة يعرب عن اعتراضه على ثبات النص القرآني وثبات الالتزام به "إذ أن وجهات النظر المغايرة المليئة بالجمود، والتي ترمي إلى عمل توليفة بين قدسية القرآن والمؤسسات الناجمة عنه، والاستنباطات المستمدة منه، بل والأشخاص القائمين على ذلك لا نعتقد أن لهم أي تبرير عقائدي لما يفعلونه". وتقول الكاتبة: إننا لا يسعنا إلا أن نقترح على السيد المستشرق أن يقرأ بعض مؤلفات عبد الواحد يحيي ، وهي ما بالفرنسية، وهي جزء من كثير يوضح فيه ما فاتك وفات الغرب أن يدركه عن الإسلام وحضارته. المحاضرة الثالثة: وهي بعنوان: "معيارية القرآن" وقد بدأها قائلاً: "إن معيارية وشرعية وتطبيقات النص المقدس: كلها قضايا يثيرها الجدل الكبير القائم حالياً حول وصول، أو عودة البلدان المسلمة إلى الشرعية، أو إلى القانون القرآني، وهي ليست عودة بمثابة استمرارية إسلامية لما تمت ممارسته حتى الآن، وإنما هي عودة في شكل توسع جديد للقرآن تحت شكل قوانين تدرك وتصاغ للرد على كافة احتياجات الحياة المعاصرة —————رة".

ثم يختتم هذه المحاضرة قائلاً: إن إعادة النظر في التشريع ستأتي بمزايا لا تحصى في المجال العلمي: شريطة أن تتم فقط وفقاً للخطوط المبتكرة التي حاولت استخلاصها، أي بالجمع بين الإخلاص

والتاريخية، والحادثة" الأمر الذي يكشف بوضوح ما يسعى إليه السيد  
بيرك.

وتحمل المحاضرة الرابعة عنوان: "القرآن واللغة العربية"، وقد بدأها  
باستشهاد للجاحظ يقول فيه: "إن الله قد أرسل محمداً إلى العرب الذين  
كانوا شعراء وخطباء"، وبعد استكمال الاستشهاد يقول جاك بيرك: "ذلك  
ما تضيفه العقيدة إلى المعجزة، إنها إحدى المعجزات من ذلك النوع  
الروحي، والتي لا تؤدي إلى أي إقلاق في نظام الطبيعة، وبناءً على  
ذلك فإن الإسلام يتم تميزه على العقيدتين المنزلتين الآخرين.  
وتضيف الكاتبة أن أكثر الفقرات دلالة على مستوي بحثه العلمي،  
واستنتاجاته التي يقدمها مثالا يجب أن يحتذي به، ما يقوله عن التباكي  
في الشعر الجاهلي على الأماكن المهجورة، وخاصة التباكي على  
الحبيبة، وهو ما يطالعه في معلقة امرئ القيس الكبرى "وتمتد الصحراء  
على مدي البصر، ويتضاعف الفراغ مما تنجم عنه صدمة نفي مزدوجة  
تمثل كل قوة القصيدة، وهذا النفي المزدوج سينتقل في القرآن في  
عبارة التوحيد الدينية: لا إله إلا الله، مما نجم عنه نظرية إعجاز القرآن  
".

ويبدأ الخاتمة بالفقرة التالية: "مئات الملايين من البشر يدينون اليوم  
بالإسلام، الديانة التي عمرها أربعة عشر قرناً إن مثل هذا الانتشار ومثل  
هذا التوسع التاريخي يتضمنان شيئا من التنوع في تفسير العقائد،  
وخاصة في العبادات، وتأتي الفقرة الأخيرة لتتوج كل ما تقدم إذ يقول:  
"يمكن بالطبع الخروج بقراءات أخرى لهذا الكتاب الذي لا يكشف عن  
سره، إلا أن هذه القراءة يمكنها أن تكون أفضلها في مساندة مسلمي  
عصرنا في البحث عن ذاتهم من خلال العالم الذي يصنع نفسه".

وهو متصل معه اللى أسلوب جاك بيرك  
فأسلوبه في هذه المحاضرات يحمل نفس السمات الكاشفة لموقفه  
السابق المستمر، ولن نتناوله هنا إلا من خلال عبارتين أساسيتين:  
التنزيل والقرآن، وهو في ترجمته لمعاني القرآن وفي المقدمة الطويلة  
المصاحبة له، كما في هذه المحاضرات يصر جاك بيرك على استخدام  
عبارة نزول بالفرنسية بمعنى؛ نزول السلام مثلاً؛ فعلى الباحث  
الأمين، والذي يتناول بحثه القرآن، أي كلام الله الذي أوحى به إلى سيد  
المرسلين وخاتمهم أن يختار هذا المعنى، وله ما يقابله في الفرنسية،  
وهي كلمة Revelation وليس كلمة نزول بمعنى نزول السلام.  
والملاحظة الثانية تتعلق بكلمة "القرآن"، ومن أبجديات الترجمة أيضاً  
استخدام اللفظ الواحد للعبارة الواحدة ما دام المقصود واحداً لم يتغير،  
لعدم تشتيت ذهن القارئ وكلمة "القرآن" جري العرف الغربي على  
كتابتها Coran، ولكن راح جاك بيرك يتلاعب على التنويعات اللغوية،  
فقال عنه حيناً Lerecueil أي ديوان الشعر، وLe Volume، أي  
المجلد، وLe Texte، أي النص، وكأن القرآن يختلف من طبعة إلى  
أخرى.

وتقول الكاتبة: إنها تنويعات لا تكشف حتى عن براعة لغوية، كما يحاول إيهام المستمع أو القارئ، وإنما تكشف عن موقفه المغرض واستهزائه المتواصل، ومحاولاته الدائبة للتشكيك والترجيح، إلى جانب محاولة فرض أن القرآن المنزل يتضمن ما يخص الأنجيل من مآخذ وهذه وحدها تعد من أحدث ما يحاول تيار التعصب الغربي دسه على القرآن والإسلام فـي هـذه الأيـام.

ويمكن ان نوافق الكاتبة بانه لا يسعنا إلا أن نضيف قوله تعالى: (ودت

طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون)

(٥) من هؤلاء دراسة مهمة للباحث حسن بن إدريس عزوزي "ملاحظات على ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق الفرنسي جاك بيرك" القرآن الكريم وإشكالية الترجمة، ضمن كتاب "دراسات في الاستشراق ومناهجه" للدكتور حسن عزوزي، طبعة فاس ١٩٩٩م. من ذلك أخطاء ناجمة عن التصحيف في قراءة ألفاظ قرآنية: فمن المستغرب حقا أن يضيف المترجم لمعاني القرآن الكريم إلى الأخطاء المتنوعة والمتعددة التي وقع فيها -نتيجة عوامل وأسباب شتى- أخطاء أخرى لا تعدو أن تكون ناجمة. عن الخطأ في قراءة اللفظة القرآنية، وهي الأخطاء التي تنجم عن التصحيف في القراءة. وهذا الأمر يقلل بدون شك من قيمة الترجمة وصاحبها، إذ يفترض فيمن يقدم على ترجمة معاني القرآن الكريم أن يكون قد استأنس بمختلف المعاني القرآنية بعد قراءات متتالية ومتعددة للقرآن الكريم تحول دون غربة المترجم عن النص القرآني .

وقع جاك بيرك -الذي كان عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة- في بعض تلك الأخطاء الناجمة عن قراءته لألفاظ قرآنية على غير ما هي عليها مما ترتب عنه تحريف للمعاني وتشويه للحقائق القرآنية. وفيما يلي بعض النماذج:

أ-في سورة المائدة: الآية ( ٣ ) ، عند قوله تعالى "حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ ..... "إلى قوله تعالى : "إِلَّا مَا ذَكَيْتُمْ" ترجم جاك بيرك ( إلا ما ذكيتم ) بقوله:

Sauf après purification



وقد تملكنتني الحيرة أول الأمر حينما قرأت هذه الترجمة، إذ ما علاقة التطهير بالتذكية الذي هو مصطلح فقهي محدّد، فقلوه تعالى: "إلا ما ذكيتم" هو استثناء مُتصل ( على الراجح ) متعلق بالمحرمات الخمس السابقة وهي: المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، فكيف غاب عن بيرك معنى التذكية؟ لو تأمل القارئ جيدا في الترجمة وتساءل عن وجه الارتباط بين اللغتين فإنه سيجد أن الأمر قد اختلط على المترجم اختلاطا شديدا لم نجده عند غيره، ذلك أنه قرأ ( إلا ما ذكيتم ) بإبدال الذال زايًا، وكأنني به قد تلاها في مصحف كُتب رسم الذال فيه مائلا شيئا إلى أسفل ليكاد يصبح زايًا، فظنه عضو مجمع اللغة العربية زايًا فأضحت الآية ( إلا ما ذكيتم ) ، ومن المعلوم أن معنى التزكية والتطهير في اللغة الفرنسية متقارب وهو : purification . والذي يؤكد صحة وقوع جاك بيرك في هذا الالتباس أنه في مواضع كثيرة من القرآن أعطى للفظّة الزكاة مقابلا بالفرنسية هو purification ، والمثير للعجب أن يصرح المترجم في حوار معه بأنه أعاد النظر في ترجمته ثلاث مرات قبل أن يخرجها للناس، فلو كان الأمر كذلك كيف غاب عنه الوجه الصحيح لترجمة الآية في إحدى مراجعاته لاستدراك الخطأ؟ وهَلْ أَسْعَفَتْهُ كُتُب التفسير الكثيرة التي رجع إليها وقد عقدت عند تفسير الآية فصولا ومباحث، مطولة للحديث عن الذكاة وشروطها والخلاف الوارد بين الفقهاء فيما يذكي ومحل التذكية، ألم يكن ذلك كافيا للتنبية على المعنى الصحيح؟ أما الذي يثير الغرابة أكثر فهو عدم رجوع بيرك إلى الترجمات الفرنسية الأخرى وقد اتفقت جميعها على ترجمة الآية قريبا مما يلي:

Sauf celle que vous égorgez avant qu 'elle ne soit .

.morte

أليس هذا دليلا كافيا على استخفاف بيريك بترجمات غيره وتقليله من شأنها واتهامها بكونها قاصرة ؟ يقول في حوار أجري معه وهو يَقُومُ بترجمات غيره: "إن الترجمات التي قُدِّمَتْ إلى حد الآن إلى اللغة الفرنسية كانت من قِبل مترجمين يحسنون اللغة الفرنسية أكثر من اللغة العربية أو العكس

أي أشخاص يتقنون اللغة العربية أكثر من إتقانهم للغة الفرنسية ولذلك فإن الترجمات كانت مُعرَّضة لبعض الخلل أو النواقص، أما من ناحيتي فأنا فرنسي فُح، وقد تعلمت اللغة العربية وأزعم أنني أتقنها بشكل جيد....".

ب- عند قوله تعالى: "لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ" (الزلزلة ٦) قرأها جاك بيريك: لِيُرَوْا أعمالهم ولم ينتبه لصيغة البناء للمجهول الواردة في الآية، فجاءت ترجمته كما يلي: pour contempler leurs actions. وهي ترجمة لا تؤدي المعنى الحقيقي للآية حيث إن الله تعالى هو الذي يُري الناس ما عملوه من السيئات والحسنات يوم رجوعهم عن موقف الحساب أصنافا متفرقين، والترجمة الأقرب إلى المراد هي Pour que montrées leurs oeuvres leur soient .

ج- ترجم جاك بيريك قوله تعالى "فَتَكُونُ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ" (المائدة ٢٩) بقوله: Et sois donc parmi les compagnons du Feu. وهو ما معناه ( فكن من أصحاب النار ) فتصحفت بذلك لفظة ( فتكون ) إلى صيغت الأمر ( فكن ) وهو ما يعكس المعنى المراد من الآية القرآنية .

( ٦ ) حسن بن ادریس عزوزی ، السابق

(٧) السابق

ايضا يمكن العود لتقرير الازهر والى ملاحظات اللجنة المختصة بمراجعة ترجمة الأستاذ جاك بيرك لمعاني القرآن للغة الفرنسية :بناء على قرار ٢٠٤ لسنة ٥٩٩١ لفضيلة الإمام الأكبر الصادر في ٦٢ / ٦ / ٥٩٩١ ، وفيها بدا ان جاك بيرك لم يكن جاهلا جاهل بالعربية فقط وانما مغرض متعمد الإساءة إلى الإسلام والمسلمين، كان يفنّد الأمانة العلمية عند تناول نص القرآن الكريم . اما بتشويه النقل عن المفسرين القدامى كالزمخشري . او التعمد الى ترجمته محرفة او النيل من القرآن الكريم حين رأى انه لون من الوان الشعر القديم أو نوع من الشعر الحديث الذي لم تعرفه اللغة العربية إلا منذ جيـل فقط .

ايضا انظر :

## Le Coran

EN RELISANT LE CORAN - SINDBAD -

## PARIS 1990.-

### - تقرير الازهر

الآية ١١: ترجمة " عالم الغيب والشهادة " بعبارة :  
celui qui connaît l'absence et la présence

ومعناها : الذي يعرف الغياب والحضور .  
وتبانياً أشاد ببارز *Qui plus est* وتعني : " وأكثر من ذلك " وحس  
عبارة غير موجودة بالنسبة للقوانين .

الآية ١٥ : " إذا انظروا إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس " *lors de votre retour auprès d'eux, pour que vous ignoriez leurs fautes. C'est cela : ignorez les eux mêmes !*  
*ils se sont salis*

ومعناها : إنكم ، بعدكم ، ببارزهم ، على تجاهلهم ، ذلك ، هو : تجاهلهم .  
أما : استخفاً . ( بعبارة " ذلك هو " غير واردة في النص ) ثم وقع ما يلي :  
يبرر فيه اختياره ، لأنه تجاهل ترجمه لا عرض لأنه لم يجد أمثال ضلها للتعبير  
من الثانية اللغوية الواردة في الآية التي والاحتجاج غير الوجوه : بشأن الردود  
بـ *impunité*

الآية ١٦ : " الأعراب " ترجمتها بـ *les Bédouins* أي البدو .  
حدود لا أنزل الله ترجمتها *les normes expresses* بمعنى بمسيرة  
*expresses* وتعني الواضح ، الجازم أو الصريح وهي غير واردة بالنسبة .

الآية ١٨ : " والله سبحانه عليم " ترجمتها : بمعنى الاستيعاب والمعرفة :  
*Dieu est Entendant , Connaissant*

واستخدام صيغة فعلية مستندة .  
وتنص العبارة واردة في الآية ١٠٣ ترجمتها بـ *Entendeur*  
وتعني التذمير ( أي أنه لا يلتزم لا بالمعنى ولا بنفس المعنى غير التذمير ، لنفس  
الكلمة وهو غير سليم في الترجمة خاصة إن كان السامع في النص الأمسلسل  
هو نفس المعنى ولم يتغير سياق الخطاب )

الآية ١١: نفس الشج في ترجمة " تقوى رحيم " فيها ترجمتها بعبارة " Tout indulgence "

✓ للكمة ( تقوى ) وفي الآية ١٠٢ ترجمتها " Pour pardon "

ونفس الشج بالنسبة لعبارة " ذلك الفوز العظيم " ترجمتها

C'est là le triomphe grandiose

C'est là le triomphe suprême وفي الآية ١١١ ترجمتها

والأولى تعنى الكبير والثانية تعنى الأطر .

الآية ١٠٢: " من الله أن يتوب عليهم " ترجمتها

Peut être Dieu se repentira-t-il en leur faveur .

وتعنى : من الله أن يتوب لعالمهم .

الآية ١٠١: " الله هو التوب الرجيم " ترجمتها

Dieu est l'Enclin au repentir .

وتعنى : الله هو الذى يبيل للتوب !

الآية ١٠٥: " قل اهلوا نسرى الله ملكم " ترجمتها

Dis: Obéissez! Dieu examinera votre comportement

وتعنى : قل تمروا الله سيفس تعرفكم .

Ⓢ " عالم اللب والشهادة " ترجمتها هنا بخلاف ما فعل في الآية ١١:

Connaissant du mystère et de la présence

وتعنى عارفا للنسب والحضور .

الآية ١٠٢: " والذين اتخذوا سجداً فراراً " ترجم سجداً بكلمة

وتعنى كلمة خاصة بجناد معينين ، علما بأن كلمة mosque في الله

الفرنسية مشتقة من مسجد .

" ان أردنا الا الحسن " ترجمتها

si ils furent mauvais

si nous ne voulons que la splendeur

الآية ١٠١: "أم بن أسير بنيانه على شفا يبرف هار" ترجمتها :  
 -- *Ou celui qui la fait reposer sur les laire d'une*  
*palaise croulante* -  
 أولا أسقط كلمة بنيانه وأشار إليها بأداة تعريف ، وترجمه "شفا" بـ *بالكسنة*

وتعني في الفرنسية "الثقة" في الفم الانسى ، كما تعني أيضا  
 " الشفر " في الجهاز التناسلي النشائي ، وفي صيغة الجمع فقط تعني حافسة  
 أي فتحة ، وهو هنا لم يستخدمها في الجمع وإنما في الفرد . ومن الواضح  
 أنه دائما يستخدم العبارات ذات الدلالات الجنسية لتأكيد ما أشار إليه من  
 شهوانية الرسول عليه الصلاة والسلام . وذلك مثلما فعل أيضا بعبارة " ومسا  
 أنتم بمعجزين " ( يونس / ٥٢ ) وترجمها *impatent* وتعني زمن ، ذو عاهة  
 وأن كانت في الخطاب الفرنسي العام تشير إلى العجز الجنسي فقط ! وهو  
 نفس ما فعله بعبارة " النبي الأس " وترجمها " بالنبي الأوبس " نسبة إلى الأم  
 وعلاقة الرحم التي كانت تربط النبي عليه الصلاة والسلام بأمه . ومن نفس  
 السياق استخدم كلمة " ثقب " لترجمة قصص يوسف الذي " قد من دير " السخ  
 وهو " التفريزات " البائرة بأشارتها الجنسية المبهمة تعدد سعة لا يمكن اغفالها  
 في اختياره لترجمة معاني القرآن .

" والقوم الذالين " ترجمها *un peuple scélérat*  
 وتعني شعب بدم فاسق أو غادر ولا علاقة لها بالذلال .

الآية ١١٠: " إلا أن شجاع قلوبهم " ترجم قطع بكلمة  
*éclate*  
 وتعني يتفجر

الآية ١١٢: " الماشدون المراكعون الساجدون " ترجم الساجدون بالماثون ، أسقط كلمة  
 المراكعون .

الآية ١١٣: " أصحاب الجحيم " ترجمها *les hôtes de l'Enfer*  
 وتعني ضيوف أو نزلاء ( من الضيافة ) .

الآية ١١٦: " إن الله له ملك السماوات " ترجمها  
*Dieu possède la royauté des cieux* .

وتعنى أن الله يملك ملكية السماوات ( وكان الأمر يتعلق بنظام سياسى ملكى )

الآية ١١٧ : " لقد تاب الله على النبی " ترجمها كالمعتاد

*Dieu s'est repenti envers l'Envoyé*

أن الله قد ندم أمام الرسول .

وترجم " روف رحيم " بكلمة *Tendre* وتعنى حنون ( وهناك نفسى

اللغة عبارة مقابلة هى *clément* )

الآية ١١٨ : " ان الله هو التواب الرحيم " ترجمها بأصرار كالمعتاد :

*Dieu est l'Enclin au repentir*

أى الله هو السائل للندم أو الذى يبيل الى الندم ، وهذا الامر يدخل

ضمن كل ما يحاول اغشائه من مفات أسفه على الله سبحانه وتعالى .

الآية ١١٩ : " وما كان المؤمنون لينفروا كافة " ترجمها

*les croyants n'ont pas à se mobiliser en masse*

أى ليس على المؤمنين أن يتجندوا جماعات .

الآية ١٢٠ : " وإذا ما أنزلت سورة " ترجمها : *Lors qu'une sourate descend*

وتعنى عندما تنزل سورة ( وكأنها تنزل السلام وليست منزلة من الله عز وجل )

ونفس الشئ طوال الترجمة بأسرها لاستبعاد التنزيل .

" وهم يستشرون " ترجمها *ils n'en épanouissent*

وتعنى أنهم ازدهرروا أو أنهم تنفخوا .

الآية ١٢١ : " حريص عليكم بالمؤمنين روف رحيم " ترجمها

*Vous êtes sa passion Dux croyants vont sa tendresse et sa miséricorde*

وتعنى : أنكم شغفه أو شهورته . ان حنانه ورحمته تيل للمؤمنين !

وقد وضع هامشا يؤكد فيه المعنى الذى دسه فى كلمة شهوة أو شغف

قائلا : " ان الحياة فى تلطف العبارة يزيد من حدة الإحساس " !!

سورة يونس

آية ٦: " ان انذار الناس" ترجمتها  
Donne l'alarme aux humains

تعنى انذار بالخطر وذر شديد أو سفارة الانذار

" ان هذا ساحر بين" ترجمتها  
Ce n'est me sorcellerie <sup>plagieuse</sup>  
أى: ان هذا ليس الا سحر جلى أو شديد الوضع.

آية ١: " تجرى من تحتهم الأنهار فى جنات النعيم" ترجمتها  
de sous eux de ruisseaux coulent dans les jardins du bonheur.

ويعنى ترجمته للجنات: حدائق السعادة . وهو دائما يترجم كلمة جنة بحديقة

علما بأن الكلمة الغالبة لها موجودة فى الفرنسية وهى

(وتترك كل ما بعد هذه الآية من أخطاء وتحريف واسقاط عبارات لنشير الى :)

الآية ٦٨: " قال يا اخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى" ترجمتها :

ils disent: Dieu s'est donné une progéniture  
O Transcendance! Il est Celui qui - se - suffit - a - soi - même

ويعنى ترجمته : يقولون : الله قد منح نفسه ذرية سبحانه انه الذى يستغنى بنفسه!

وقد استبعد كلمة ولد لأنها إشارة الى يسوع ونفى لألوهيته - وهو نفس الموقف

الذى اتبعه طوال الترجمة .

الآية ٧٢: " نيا سألکم من اجر ان أجرى الا على الله" ترجم أجر بكلمة

ويعنى الراتب الشهري .

آية ٧٤: " ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم" ترجمتها :  
Après lui Nous envoyâmes des envoyés à leurs peuples

ويعنى : ومن بعده أرسلنا راسل لشعوبهم على التوالي . ( وراسل هنا بمعنى

أى رسال لأنه كتبها بحرف السرة الصغير أى بلا تمييز علما بأن معنى الأيسنة

شديد الوضع إشارة الى الرسل )

آية ٧٥ و ٩٠ وأينما وردت عبارة " السلطن" أو " من السلطن" يترجمها قائلا :  
Ceux qui se soumettent



أي الذين يخضعون . وذلك تشبهاً بما أوحى به في البحث الرفيق للترجمة من أن الإسلام هو خضوع ( بمعنى ذل وهوان ) وليس بمعنى أن يعلم الإنسان أمره للقيام بهجانه وتعاله .

— — — — —

الآية ١ : " من لدن حكيم خبير " ترجمها *venu du sein d'un sage*  
*d'un Informé* أي أن من مدر حكيم تم استعلامه .

الآية ٥ : " يعلم ما يسرون وما يعلنون " ترجمها :  
*Il connaît le secret qu'ils recèlent aussi bien*  
*mece qu'ils publiaient* وتعني يعرف السر الذي يخفونه كما يعلم تماماً ما ينشرون .

الآية ٧ : " ان هذا الا سحر مبين " ترجمها : *flagrante*  
*ce n'est la peu magic* وأن يونس ٧٦ ترجم سحر بعبارة *Sortellerie* والأول تشير الى القدرات غير الطبيعية والثانية الى نفس السحرة وممارات السحرة .

الآية ١١ : " ضائق به صدرك " ترجمها *quitte à en suffoquer dans ta*  
*Poitrine* وتعني : حتى ولو اختنقت في صدرك ! ثم يور في الهامش قائلاً : حتى وإن اختنقت  
 من تلك الامصات الانسانية التي تمت الاشارة اليها فيما تقدم .